الاميران الاسيران

مأساة تمثيلية تاريخية ادبية

عرّبها عن الافرنسية بتصرف الخوري يوسف المشبقي (نقلة)

الفصل الثالث : المشهد الثامن

الفرد . بياترو يحمل فردريك المجروح

الفرد (متأثرًا من مشاهدة اخيه مجروحًا)

— اخي فردريك ما هذا الدم ! ما هذا الجرح ؟ يا لشقاء حالنا !

فردريك : اسفاهُ ان اللصوص قد ظفروا بوالدنا واستاقوه اسيرًا

الفرد (يصرخ) : والدنا اسير ؟ يا لليأس فبئس المصير !

فردريك : كيف العمل الان هل نتركهُ وشأنه ونستنجد بالهزيمة او نطلب من الزعيم ليسمح لنا ان نصحبه ؟

الفرد : بل يجب ان نصحبه لنقاسمهُ همومهُ ونشاطرهُ غمومهُ ولا ندّعه تحت رحمة هؤلاء اللصوص

بياترو : الرأيُ عندي أن تهربا حيث يتيسر لكما انقاذهُ واسعافهُ بما تتدبرانه وتتخذانه من الوسائط والطرق بسبيل تخليصه . وما أدراكما ما يحلّ بوالدتكما لو علمت بكسرة والدكما وما حلّ بعسكره من تضعضع اركانه ووقوعه تحت قبضة عدوّه الذي اخضع رقابهم لنير الذل والعبودية . ولكنّها اذا رأتكما سالمَين معافيين فتُصيب نَفَساً من كربها وفَرَجاً من غمّها

فردريك : لكلامك وقعٌ في نفسي فالأولى اذًا ان تهرب لعلّنا نجد وسيلةً الى جاجتنا . وهلّا تصحبنا انت؟

بياترو : كلا . بل ينبغي ان اهتمّ بامر سيدي والدكما وأقف من دون مَن يتعرّضون له بالشرّ سدًّا منيعاً . خذا هذا المفتاح وتنقبا مخرجات هذه الأسراب الى

الباب السري فعالجاهُ بالفتح واخرجا منه الى مضيقٍ آخر مظلم يطلُّ حدُّهُ على سيل ماء حيث يخلو لكما الجوّ وتغدوانِ طليقَيْن تستنشقان نسيم الحرية وتواصلان سيركما الى القصر. اودّعكما الآن صحبتكما السلامة كيفما سرتما وأيان توجهتما . (يخرج فردريك والفرد من الملعب)

المشهد التاسع

بياترو لذاته

لقد تمكنتُ بحوله تعالى من انقاذ الشابَّين هل يمالني حسن البخت على تخليص والدهما ؟ ربّاهُ صِلْ يدي بملتـــي

يا للبليَّة هوذا رئيس العصابة روداف والاميرُ اسيرهُ آتيان. (يتخفى بياترو عن اعينهما)

المشهد العاشر

رودلف . الامير . لصوص . بياترو متخفٍّ . حراس

رودلف : لقد اخلف الدهرُ ظنك ايها الامير وعارَضَ اطماعك باليأس. قل لي مَنْ من الاثنين يعلق رأس الآخر على شرفات قصره ؟

الامير : لقد هتكتَ بكلامك ايها الباسل ستار الحشمة. وتعدَّيتَ بغلاظة هزلك حدود الظرف واللياقة. دعني وشأني وأنت وما تراهُ بان تعاملني بما يخوّلك به حقّ الغالب على المغلوب او بما كنت اتوعّدك به

رودلف : ليَ في الامر رأيي. ومن جرأك على ركوب هذا المركب الخشن ؟ ومن اطمعك فيما لا مطمع فيه بان تتجاسر وتنـازلني في قعر داري؟ لم يكن الامر على ما رجوتَ يا هذا

الامير : لو كنت تدري ما حملني على اقتحام المخاطر وركوب الاهوال..لوجدت لي في الامر عذرًا بيّنًا

تُمي اليَّ ان ولديّ فردريك والفرد وقد اسيرَيْن هنا فجئتُ لتخليصهما. هـل

تسوق اليّ جميلاً وتأذن لي بمشاهدتها. يلوح لي انك رجل غريب لا تدرك حنوّ الوالدين

رودلف : ستشاهدهما ولكن . . .

— (الى الحراس) : انتوني بالاسيرين فردريك والفرد الى هنا وأروا ظباةَ سيوفكم بدمائهما امام والدهما

الامير : نشدتُك الله سيدي

— (الى الحراس) : اقسمتُ عليكم ايها الحرّاس ألّا تُصيبوا دماً في الغلامين. (مضطرباً قلقاً . . . يتوقف الحراس)

رودلف (للحراس) : أنتمروا بما امرتُ وأسرعوا باحضار الاسيرين. (يخرج الحراس من الملهى)

بياترو لذاته : وانا أُصرُّ على تخليصهما (يظهر من مخبإهِ ويخرج من باب آخر)

المشهد الحادي عشر

رودلف . الامير

الامير : مولاي. الا ارحم اباً يكادُ الحزن يخنقهُ. بالله عليك لا تحملنَّ وزرَ هذين الملاكين لئلا تستوجبَ عاقبةَ امرك فيجرّعك الندم غُصصاً ويورّثك حسرةً وأسفاً

رودلف : عجباه ايها الامير أولستَ انتَ مَنْ جاءنا امس يختالُ تيهاً. ويجرّ اذيالهُ كبراً ؟ فما لك الآن تتصاغر الينا نفسك وتخفض جناح عُجبك ؟

الامير : لستُ انا مَنْ يستكين اليك ويحملُ الضيم عن يدٍ. فمثلي سيّدُ قومهِ لا يستباح ذمارهُ ولا يدرُّ بالعصاب

انما حنوّي الوالدي وعطفي الابوي هما يكسرانِ من نخوتي ويُصغّرانِ نفسي اليك

حنانيكَ ايها السيد الخطير ارفقْ بولديّ الصغيرين فاني افديهما بكل ما عزَّ وهان. انا انا من أساء اليك فاقتصَّ مني. تلقَّ اساءتي بحلمك واعفُ عن ملاكين لم يرتكبا جرماً ولم يقترفا اثماً. لو كنتَ يا مولاي ربَّ عائلةٍ لكنتَ ادركتَ ما يحويهِ قلب

الوالدين من الاسرار الصيقة والغامضة معاً ولكنتَ ايضاً أوسعتَ لي كنف رحمتك. بالله عليك سيدي ألّا تُرسل على استرحامي حجابَ صمتك، وتخضب يدك بدم ولدين بارّين يبلغ صراخهما عرش العدل طالباً الانتقام

— لذاته : آه ما امرَّ عيشة الوالدين (ملتفتاً نحو الحضور)

رودلف : (يجول في الملعب ذهاباً وايابا)

— لقد رقّ لهذا المسكين قلبي ولم احمل وزرَ ولديه واسفك دماً زكيّاً ليس وراءه طائل. فانا أكرمُ نفسي عن اتيان ما يضعُ من قدري ويقدح في حسَبي

(يلتفت الى الامير ويقول لهُ) :

— لقد عدلتُ يا هذا عن عزمي فلا أُوقع بولديك شرّاً

الامير : اسأل الله ان يجزيك عني خيرَ الجزاء

رودلف : لكنك أنتَ تبقى اسيري

الامير : لا أخالف لك أمرًا

رودلف : تتخلّى لي عن قصرك وما يحويهِ من اثاثٍ ورياش

الامير : تقيم فيه بالصفاء والهناء

رودلف : وعن كل ما تملكهُ من عقار ودثار

الامير : هو لك حقٌّ مرعيٌّ وملك شرعيٌّ

رودلف : وتنقدني فوق ذلك عشرين الف فلورين سلفاً

الامير : عن يدٍ وانا صاغر

رودلف : أمضِ هذه الوثيقة (ويسلّم صكّاً باذكر)

الامير : حبًّا وكرامةً

(بعد ان يوقّع الامير الوثيقة بخطّ يده يرجعها الى رودلف قائلاً لهُ) :

— هل في ذلك ما يسترضيك

(يأخذ رودلف الوثيقة ويقرأ توقيع الامير)

«المقرّ بما فيه وكاتب بخط يدهِ. الامير ايلريك دو لانسفالد»

« وللحال تبدو على وجه رودلف امارات الانذهال والحيرة ومن ثمَّ يجول في المسرح ذهاباً وايابًا مفكرًا وهو يردّد: ايلريك دو لانسفالد. ثم يلتفت الى الامير ويقول لهُ) :

ـــ أنتَ الامير لانسفالد ؟

الامير : انا هو

رودلف : وطنُك ؟

الامير : ڤيانة

رودلف : عشيرتك ؟

الامير : لانسفالد

رودلف : أسمك واسم ابيك ؟

الامير : اسمي ايلريك واسم ابي جان

رودلف : لماذا تُدعى امير فورتموله ؟

الامير : اتخذتُ هذا الاسم بعد مغادرتي ڤيانة وطويتُ دفينةَ صدري لئلا يعلم احدٌ من امري شيئاً

رودلف : مهنتُك ؟

الامير : مستشار جلالة مليكنا المحبوب

رودلف : ممّن تتألف اسرة لانسفالد ؟

الامير : مني انا اصغرُ ابنائها

رودلف : إذن لك اخوة اكبر منك سنّاً ؟

الامير : أخٌ واحرَّ قلباه عليه اذاقهُ الوُشاة المرتَ الاحمر

رودلف : اسمهُ ؟

الامير : فرنسيسكو

رودلف : اخي عزيزي ايلريك انا هو فرنسيسكو دو لانسفالد (مندهشاً) .

الامير : اخي حبيبي فرنسيسكو انت حيّ (مندهشاً)

(يتصافحان باكبين ساكتين)

الامير : امرٌ لم يسبق به حدسٌ. هل عَلِق في ظني أني اجد فرنسيسكو حيّاً بعد تلك الاحكام عليه بالاعدام من عشرين عاماً ؟ ربّادُ ان لك في عنايتك اسراراً تقف عند حدّها مدارك الناظرة

رودلف : هي العناية الالهية أرسلتك اليّ في سراديب اللوفر لتردَّ جماحَ

غُلواني وتقبض يدي عن المنكر حرصاً على جمال سمعة عترة لانسفالد الكريمة . فأغتنر ما فرط مني اليك واسمح لي أن اقبل قدميك قياماً باعباء شكرك (ويتساقط على قدمي الامير)

الامير : (يبسط ذراعيه ويطوق عنق رودلف قائلاً) :

— عزيزي فرنسيسكو تعالَ تعالَ لاضمك الى صدري واقبلك قبلةً اخ لم تذق عينهُ طعمَ الراحة بعد فراقك

رودلف : اخي هل تسعدني عيناي برؤيةِ والدَيَّ . آه كم اتوق الى مشاهدتهما . كم احنّ الى قبلة ايديهما !

الامير : يا لهف نفسي عليهما !

رودلف : وما حدث لهما ؟

الامير : منذ ما سمعا بالاحكام الجائرة عليك ضاقت عليهما المسالك فقضي عليهما من الغم . واحسرتاه عليهما !

رودلف : وامصيبتاه ! (يجهش بالبكاء)

(سكوت برهة)

الامير : ما احسن التسليم للقادر . الموت حكم الله وليس لهذا الحكم دافع والدمع لا يُسيغُ غُصَّة والوجدُ لا يُزيلُ كربة . انما نحمد الله على نجاتك فلنا في بقائك العوض والتأساء .

أمطر الله على ضريحهما سحائب الرضوان واحصاهما بين اصحاب اليمين

قل لي الآن هل أتمكن من مشاهدة ولديَّ فردريك والفرد ؟

رودلف : هما في حِمى امين يتفيآن ظلال الراحة (يصفر)

المشهد الثاني عشر

رودلف . الامير . حراس

رودلف للحراس : اين الغلامان أنتوني بهما

الحرّاس : لم نقف لهما على أثر لا في سجنهما ولا في زوايا الغيران . يظهر لنا

أنهما انهزما ومنحانا اكتافهما

رودلف : أنّى لهما ان يهربا وقد أخذنا على أسرانا مهارَبهم ؟

المشهد الثالث عشر

رودلف . احد الحراس

احد الحراس (يدخل فجأة)

— مولاي الاسيران هادَتْهما الفرصة فولّيا مُدبرَين

رودلف (غاضباً) : يهنئ امر الغلامين فقد استورى هربهما غضبي

احد الحراس : انت وشأنك ايها الزعيم . أحلل بنا نقمتك . ان من مهّد لهما السبيل لينجُوا من مشاق اسرهما هو بياترو

رودلف : أسرع وائتني به

المشهد الرابع عشر

رودلف . بياترو

بياترو : لبيك سيدي

رودلف : اين الغلامان ؟

بياترو : لا علم لي بهما

رودلف : كيف ؟ وقد اتّصل بي انك انتَ مَنْ تمهّد السبيل ليهربا

بياترو : نعم انا هو

رودلف : وما حملك على ذلك ؟

بياترو : الحرص على حياتهما

رودلف : هل داخلك فيّ ريبٌ بامرهما ؟

بياترو : اجل . سمعتُك تهدّد والدَهما بالفتكِ فيهما

رودلف : بالفتكِ فيهما ! لو كنت تدري مَنْ هما ؟

بياترو : هما ولدا سيدي الامير دولانسفالد اسيرك الآن

رودلف : وما الذي حملك على الانتصار لها . هل سبقتْ لك معرفةٌ بهما ؟

بياترو : كيف لا وقد كنتُ فيما مضى قيم قصرهما ومهذبهما

رودلف : انتَ ؟

بياترو : نعم مولاي

رودلف : وهل كنت تُدعى بغير هذا الاسم ؟

بياترو : اجل سيدي . بياترو سمار ديني

رودلف : ان لك شأناً يا هذا

بياترو : بل شأناً غريباً

رودلف : من قصور الاشراف الى مغاور اللصوص !

بياترو : ان لفي الامر سراً عجيباً

رودلف : لك اسوةٌ

بياترو : بمن ؟

رودلف : خلِّ عنك هذا الكلام الآن واسرع في التفتيش عنهما واحضارهما لهذا الجانب . واذا لحق بهما ضررٌ فاعلم ان حدّ سيفي يكسر من حِدَّة غضبي بقطع عنقك

بياترو : على لبس من امرك سيدي هل عدلتَ عن الايقاع بهما ؟

رودلف : عن الايقاع بهما ؟ لو كنتَ تدري من هما ! اسرع باحضارهما ولا تُلوِ على شيء

بياترو : إذن عن قليل تراهما . (يخرج)

المشهد الخامس عشر

الامير . رودلف

الامير : كم يشقّ عليَّ أن لا أرى ولديَّ . بل كم يعزُّ عليَّ ان اشاهد سليل آل لانسفالد يتاخ عن قصور الكرام بكهوف اللئام

رودلف : لا تشقنَّ بولديك بالك فسيقومان عن قليل امامك . فقد ضمنتُ لهما

نفسي الامان . فخفض عليك اذاً جأشك

واما امر اقامتي في مغاور اللصوص فلم يكن يجري في خاطر . ولم يعلق به ظن . ولا إخالك تجهل امري وامر الدوق دو فرْ كَنتال

الامير : قد طالما اوجستُ من امركما خيفةً . ولكن ما لنا وذكرى ما يُثيرُ الحفائظ ويجيش في الصدر الهموم

رودلف : ليس بدعاً اذا تنازعتك في امرنا الشكوك وقد اختلفت الروايات بشأننا فعليه ارى ان اكاشفك بما صحَّ من خبري دفعاً لوهم باطل وحدس كاذب :

قد كان حصل بيني وبين المذكور خصام فطفق يوغر القوم عليَّ ويشرّبهم عداوتي فرأيتُ ان القول الفصل بيننا هو حدّ الحسام فطلبتهُ للمبارزة وعند النزال اعجلتهُ بضربة فيصل على امّ رأسه قضت عليه . فتنكّر لذلك آل الدوق فدبّت عليَّ قلوبهم وابطنوا لي غلًّا . واول امر اتوه ان أغروا الامبراطور بي وخشوا صدره عليَّ فاصدر امرهُ باعدامي فاودعوني بادئ بدء سجن ذوي الجنايات . ولمَّا ازفت ساعة انفاذ الحكم رشوت الحراس فمهّدوا لي السبيل الى الهرب فذهبت الى ايطاليا حيث سوّدت صحيفة حياتي بسيئات اعمالي . وهرباً من تعقّب الحكومة لجأتُ الى هذا الكهف وجعلتهُ امنع من عُقاب الجو وفي نفسي ما بها من الحقد والضغينة لآل الدوق الذين جاشت عليَّ قِدرُهم وكشفوا لي عن وجه عداوتهم . وقد انضمّ اليَّ اذ ذاك عدد عديد من الثوّار ولم اكن أبي عن الايقاع باولئك ، من تخريب اراضيهم ، من تدمير قصورهم ، من سلب اموالهم ، من سفك دماء ابنائهم . على ان مزاولة هذه الاعمال في اوجرة الوحوش الضارية لم تكن تخفّف من نفسي مؤونة عنائها . فلا وربّك لم اذق للدعة طعماً ولا للراحة لذّةً وطالما حاولتُ أن أخفتَ صراخ ضميري الذي كان ينتصر لهم . فعدوتُ عرضةً لانتقام السماء وغضب الارض . ووسمتُ رأسي بتيسم عار لا ترحضهُ السنون . وهل يتعمدنَ ذنبي ربّي ويغتفر جريمتي فيسود في نفسي السلام وتعود الى ضميري الطمأنينةُ ؟

الامير : أخلِدْ الى الله يشفك وتُبْ اليه فهو غفورٌ رحيم .

رودلف : وا أسفاه ! هل بعد عشرين سنة اطلقتُ لنفسي عنان هواها تائهاً في اودية الضلال ارجو الصفح والغفران ؟

على اني اقبضُ يدي عن كل منكر في الآتي وانزع عن جهلي. غير انهُ يمتنعُ عليَّ أن امحوَ ما يضعُ من قدري بسوء سمعةٍ ينالكَ شيئُها. فالاولى فيما أرى ان اقطع خيطَ حياتي بيدي فاكفي العينَ بصرَها والأذن سمعها

الامير : اخي ماذا تقول ؟ لقد غِبتَ رأيك فانت اجلُّ من ان تُرمى بسِّ من الجنون. خلِّ عنك هذا الامر الذي يقلّد عنق عائلتك قلائد الحزي والعار

رودلف : ان اطالة حياتي هي شينٌ لأسرة لانسفالد لاطلاع الجميع على حقيقة امري. اما اذا ضمّني لحدي فاسم فرنسيسكو لانسفالد يتوارى تحت اسم زعيم اللصوص رودلف

الامير : ليس الامر كما تتوهم يا عزيزي. فلست أنتَ اعظم من دارد الملك واعلم من اغوسطينوس. دَعْ عنك هذه الافكار واخرُجْ من ظلمة هذه الاوجار الى عالم الحرية والنور والسلام

واعلم ان جريمة الانتحار هي شرّ الجرائم لا شرعَ يقضي بها ولاعقل يبرّرها ولا دين يسمح بها. ولا يُقدمُ عليها إلّا مَنْ خولط في عقلهِ وأطبق عليهِ الجنون. واعلم ايضاً ان الحياة هي لخالقها ومالكها فلا سلطة للبشَّة لك عليها. فما عليك اذاً إلّا ان تصلح الماضي بالتوبة الخلوص وتندم على ما فرط منك وندامتُك وتوبتك تمحوان كلَّ ما اسأت به فيما مضى

واعلم ان امبراطورنا المحبوب هو رحوم شفوق يضربُ عن إساءتك صفحاً

رودلف : مؤالسٌ. لا اركن اليهِ فقد بدا لي منهُ ما يدعو الى التحذّر من كيده

الامير : كلّا يا عزيزي لقد اسأتَ بليكنا ظناً. فقد فوّض هو اليَّ ان اصفح باسمه عن كل مسيء ندم على ما كان منه وضمن لي من نفسهِ النزوع عن معصيتهِ. ومثلُ عاهلنا صادقُ الوعدِ كريمُ العهد ينبغي ان تُناط ثقتنا بهِ فهو ينسى الماضي ويحتضنك احتضان امّ رؤوم

ولا اظنُّك تتردّد بعد هذا في ما اقول. او بعناية الله لك

رودلف : كلّا يا اخي فقد ايقنتُ الامر فاحمل عليَّ ما أحببتَ وعوّل بما شئت

الامير : لقد أجهدني التعب ولم تنلْ عيناي من يومين غمضاً اضطرُّ الى الراحة

رودلف : اذا شئت فادخل مخدعي وخذ حظّك من الراحة (يخرج الامير من باب داخلي)

المشهد السادس عشر

بياترو . رودلف

بياترو : الغلامان حاضران ينتظران صدور الامر الكريم

رودلف : لك عندنا يا بياترو يدٌ بيضاء لا تضيع حرمتها . ولئن كنتُ اسأتُ اليك فأغضِ عن اساءتي بعفوك

بياترو : لقد عقّلَ الخجلُ لساني فانا انا اطلب الصفحَ . ولا اذكر أن لي عندك يدًا

رودلف : بل ايادي تذكرها فنشكرها

بياترو : على شكٍّ من أمري

رودلف : لا لا يا بياترو . امر الرسالة لامير فورتقولهْ وامر المحافظة على حياة ولديه

بياترو : زدتني في الامر غموضاً

رودلف : فليطمئنَّ اليَّ بالُك . ان الامير هو اخي والغلامان هما ولداه

بياترو : إذن انتَ كبير عيلة لانسفالد الكريمة ؟

رودلف : انا هو

بياترو : اذن انتَ هو الحاجب الملكي ؟

رودلف : انا هو

بياترو : وأين اضعتَ اسمك الحقيقي فرنسيسكو دولانسفالد

رودلف : بتغاور اللصوص تحت اسم رودلف زعيم اللصوص

بياترو : أوَلم تبلغك محاكم ڤيانة تلك الاحكام الهائلة ؟

رودلف : بُلّغتُها ولم احفل بشأنها

بياترو : اتذكر مولاي مَنْ كان يتولى تدبير قصركم في ذلك العهد

رودلف : اذكره بل اشكره أم لست انت بياترو سهارديني؟

بياترو : مولاي. عُدْ على جهلي بحلمك. وتناسَ ما كان مني . فلقد بَدَرَت

رودلف : حسن صنيعك اليوم أنسانا ما كان منك في الامس

بياترو : من غرائب الصدف يا مولاي

رودلف : بل من اسرار العناية يا اخي اذهب وأنتنا بالغلامين

المشهد السابع عشر

الامير . رودلف . احد الحراس

رودلف لذاته : ما كان اتعس حظي الامس واسعدهُ اليوم . فقد كنت ضالًّا فهديتُ وميتاً فحييتُ

لعمري ان مشاهدة اخي بعد عشرين عاماً والرجوع للتفيّئ تحت سقف عائلتي لهما لديَّ من افضل هبات المولى عليَّ

(يدخل الامير يصافحه رودلف قائلًا) :

رودلف : اخي: أَلم تحصلْ نفسُك على الراحة ؟ أَلم يثبْ اليك نشاطك؟

الامير : لقد شعرتُ براحة لم أَذُق لذتها فيما مضى . يبقى عليَّ الان أن اشاهد ولديَّ لتطيب بهما نفسي

رودلف : حاضران ينتظران ساعة استيقاظك من النوم (يصفر)

(يدخل احد الحراس)

احد الحراس : مولاي

رودلف : ائتني بالغلامين وبياترو على عجل

احد الحراس : امرك مولاي . (يخرج من الملعب)

المشهد الثامن عشر

رودلف . الامير . فردريك . الفرد . بياترو

الفرد : ابتِ
فردريك : ابي } يسرعان لمصافحة والدهما

الامير : فردريك ! الفرد ! (يضمهما لصدره)

(سكوت برهة)

فردريك : ما كان امرّ بعادك يا ابي !

الفرد : بل ما اسعد حظنا اليوم برؤياك !

فردريك : لقد كفّر الدهرُ اليوم عن اساءته امس

الفرد : آه لو تدرك والدتنا ما آل اليه امرُنا ؟

الامير : مسكينة والدتكما فقد مُنيَتْ بفراقكما بغُصَّةٍ لا تُساغ. ولكن سيسكن روعها ويقرّ بالها برؤيتكما

اشكرا يا ولديّ العزيزين العناية الالهية التي اودعتكما حراسة عمكما فرنسيسكو الذي كنتما تتذكرانه بعطف وشوق. تقدّما وقبّلا يدهُ فهو ملاككما رافائيل الذي تولى حراستكما

الفرد وفردريك : كيف! عمنا فرنسيسكو (تظهر عليهما دلائل الجزع والقلق)

الامير : هو هو عينه

رودلف : نعم نعم انا هو عمّكما واضمكما لصدري كنتما موضوع حبه وغاية امله. واذن كان اسم رودلف القي في قلبكما فيما مضى رعباً وجزعاً فاسم فرنسيسكو لا فالد يزيلها الآن ويملأه حبًا واخلاصاً. (يبسط ذراعيه ويضمُّ الاثنين)

فردريك والفرد : عمّاه ما هذه الحياة ؟ ما هذه العيشة في اوجرة الوحوش الضارية ؟

رودلف : حُكم عليّ بها

فردريك والفرد : والآن ؟

رودلف : أنزل على حكم اخي والدكما ولا أخالف له امرًا

الامير : ليس ما يحول دون اجتماعنا يا عزيزي في قصرنا في ڤيانة وقد انقادت لنا الامور بأعنتها

رودلف : ما ادراك ما يسبّبه اجتماعي باهل البلاط الملكي ؟ فلا يمدُّ اذا أثار في الوزرس ثورة الغضب وبعث دفين حقد القوم عليّ فأتحوّل من ذلك رهقًا شديدًا تنحلّ عنده عقدة صبري

الامير : لقد قضى الدهر على مَنْ قضى ومَن بقي لا يدري بشؤون ما مضى . وشبيبة القصر الجديدة تتلقى سايل اسرة لانسفالد بما ليس بعده من المِقَة فعليك ان تحسن سياستك وتتروّى في امورك . وها انا ابيّن لك ما يُنيلك عند القوم منزلةً وباعين الامبراطور حظوةً

رودلف : اذن أبِنْ لي ما صحّ عندك من شأن القوم ورغائبهم فانا طوعٌ لك بما تحب

الامير : قد طالما اشرأبّتْ اطماع روسيّة الى الاستيلاء على بعض اراضينا وما زال هذا الامر مُنتجَع خواطرهم . وقد ترامى الينا الخبر انهم سيجعلون جوار ثغورنا ساحة حرب هائلة فنضطرّ اذ ذاك ان نكون على اهبة للوقوف امام هذا العدو المغوار والى إشادة الحصون المنيعة . وقد رأيتُ ان تتولى انت قيادة جيش المملكة وامر الدفاع عن الوطن فتترك لك عندئذٍ مأثرةً يسطّرها لك التاريخ بمداد الشكر

رودلف : لكلامك موقعٌ في نفسي ويضافرني على هذا الامر الخطير جنودي الامناء الذين اوثقتهم عهدي

الامير : هل تطمئنّ اليهم نفسك ؟

رودلف : لا تعترضني فيهم شبهةٌ . قوم مدرَّبون على القتال . يتجلّدون على مضض المحن . عوّدتْهم إقامتهم لهذه الغيران على تجرّع الغصص واحتمال الملمّات والشدائد بصبر . ولم يأووا الى هذه السراديب إلّا ليتخفّوا عن اعين الحكام الظالمين فليس علينا إلّا أن نؤمّنهم على انفسهم ونمدهم بالمساعدة والاسعاف

الامير : أتضعُ تحت تصرفك كلما في الخزينة من مال وفي مستودع الاسلحة من معدّات . وأعدك بما لي من السلطة والنفوذ اني لا اقصّر في ما تعهد اليّ

رودلف : على الله الاتكال في كل حال

فردريك والفرد : ابتِ ليس عدلًا ان ننسى جميل مَنْ احسن الينا وحمل نفسه على مكروهها بسبيل انقاذنا . ان هذا الرجل الجزل المروءة هو بياترو ساردیني احد نظار قصرنا القدماء (يشيران الى بياترو)

بياترو (بركع امام الامير)

— سيدي انا هو المنكود الحظ بياترو سهارديني هل لك ان تعجف (١ نفسك عني فتستر قني بفضلك ؟

الامير : ليس اننا نُثقلك عثرتك فقط بل نقوم بواجب شكرك على اهتمامك بولديَّ . فقد اسديتَ اليهما معروفاً وتهذبتهما بخير . انهض يا كريم العهد وتولَّ تدبير قصرنا كما كنت

بياترو : مولاي استعبدتَ ثناني بفضلك غير اني ارجوك ان تسمح لي ان اواصل خدمة سيدي اخيك . لان ما بقي فيَّ من نسمة حياة اودّ ان ابذلها بسبيل الدفاع عن امتي ووطني

الامير : انتَ في سعة من امرك يا بياترو

الامير لذاته : لا املك نفسي من السرور والارتياح بما انالتنيه العناية الالهية من الغبطة والهناء في هذا اليوم السعيد بشاهدة قرَّة عيني اخي فرنسيسكو الذي كنت انعي فقدهُ باشدّ الحزن وابكي فراقهُ بدمع هتون مدَّة عشرين سنة خلتْ . واعادة ولديَّ فلذة كبدي اليَّ بعد ان كنت اضرتُ اليأس منهما

لقد تتالتْ عليَّ يا إله الجودة نعمك التي يعجز عن القيام بحق شكرها لساني
فلأشكرنَّك ما حييتُ وان أمتْ فلتشكرنَّك اعظمي في قبرها

الامير : يا اخي فرنسيس هيَّا فلندع هذي الكهوف

الفرد : ولنسر السلم لا للحرب او شحذ السيوف

فردريك : لا رعى الله كهوفاً عرضتنا للحتوف

رودلف : (يصفر)

المشهد التاسع عشر

الامير . رودلف . فردريك . الفرد . بياترو . لصوص . حراس

رودلف (الى اللصوص والحرّاس)

— ايها الزملاء لقد اسفرتْ امالنا عن وجوه الفوز . لا بالاستيلاء على قلاع

(١ عجف نفسهُ عن فلان اذا احتمل ذنبهُ ولم يؤاخذه

فورتموله فقط بل على جميع ما في المملكة من معاقل وحصون وهي تستدعينا للدفاع عنها هل ترغبون اللحاق بي ؟

اللصوص والحراس : في ليلٍ من الريب مظلم

رودلف : لا يعتريكم في ذلك شك . ولو وقفتم على حقيقة امري لتيقنتم ما اقول . هوذا اخي الامير ايارِيك دولانسفالد المفوض المطلق من قبل جلالة متبوعنا الاعظم وهذان الغلامان ولداهُ اما سرّ اجتماعنا تحت سقف هذا الكهف فلهُ اسبابهُ الخطيرة وظروفهُ القاهرة

اللصوص : يا لهُ امرًا غريباً

الحراس : بل يا لهُ سرًّا عجيباً

رودلف : مِنَ الاسرار ما يباحُ بها ومنها ما لا يُباح حجابها . إنما الامر المهم ان تنزلوا على مقترحي وتترك هذه المغاور وتذهب للدفاع عن الوطن فانَّ نفوس الروسيين قد شاهت الى بعض املاكنا وقد تجهَّزوا لاستملاكها بقوة سواعدهم . وقد وعدنا اخي بانه يجيبنا الى كل ما نسأله ويصدقنا سعيَهُ . هل يطيب لكم أن تغادروا قائدكم الذي يردّ كم ؟

اللصوص والحراس : لا لا وربك لا نُريد سواك

نحن الأُلى آثرتهم بنفوسكم فحظي على صدق الوفا ونقيمُ
نفديك في موج النفوس ولم نُرِدْ إلّا رودلفَ زعيمنا ونؤومُ

(يرخى الستار)

(تمّت)